

لبنان بعد مئة عام... في ظلّ الشيعية السياسية



خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

عاش لبنان مئة عام. هل يعيش مئة عام أخرى؟ ليس ما يضمن ذلك في ضوء ما يمرّ فيه حالياً من فراغ سياسي على كل المستويات، كان أفضل تعبير عنه الخطاب الذي ألقاه رئيس الجمهورية ميشال عون وتحدث فيه صراحة عن الحاجة إلى صيغة جديدة للبنان اختزلها بـ"الدولة المدنية". لم يوضح ميشال عون عن أي دولة مدنية يتحدث في بلد يسيطر عليه سلاح

حزب الله بعدما سيطر عليه طويلاً بين 1969 و1982 السلاح الفلسطيني الذي شرّعه اتفاق القاهرة المشؤوم الذي عنى بين ما عناه تخلي الدولة اللبنانية عن جزء من سيادتها لمصلحة الفلسطينيين. الأكد أن عون التقى مع حسن نصرالله الأمين العام لحزب الله، الذي أبدى ترحيبه بالدعوة الفرنسية للرئيس ماكرون عن "عقد سياسي" جديد. هناك تسليم لرئيس الجمهورية اللبنانية بأن من يحكم البلد حالياً هو حزب الله. دخل لبنان مرحلة الشيعية السياسية التي تعني بين ما تعنيه تحوّل البلد إلى مجرد تابع لإيران.

كانت السنوات المئة الماضية مليئة بالأحداث السعيدة والإنجازات والمآسي الكبيرة. ففي الأول من سبتمبر 1920، أعلن قيام "لبنان الكبير" الذي يضمّ لبنان بحدوده الحالية. استطاع لبنان العيش خمسين عاماً في وضع طبيعي إلى أن جاء اتفاق القاهرة مع منظمة التحرير الفلسطينية. كان اتفاق القاهرة في العام 1969 بداية النهاية للمارونية السياسية التي خلفتها السنة السياسية التي توجّها التوصل إلى اتفاق الطائف في العام 1989، وهي مرحلة لم تدم أكثر من أسابيع قليلة.

اغتيال السوريون في عهد حافظ الأسد، رئيس الجمهورية المنتخب رينيه معوض تمهيدا لوضع يدهم على البلد كله بعد أيام قليلة من التوصل إلى اتفاق الطائف بحسناته الكثيرة والثغرات التي تضمّنها. مهّد النظام السوري بتغطيته لاغتيال رفيق الحريري في العام 2005 للوضع الراهن الذي يعيشه لبنان الذي يدخل مؤبته الثانية في ظل عهد على رأسه ميشال عون، أي في ظل خيار "حزب الله" لرئاسة الجمهورية.

بما يجري في لبنان بمقدار ما أنه مرتبط بما يدور خارجه. لا ينفذ لبنان، بأزمته المعقدة خصوصا في الجانب الاقتصادي منها، سوى تغيير في موازين القوى في المنطقة. لا يمكن للشيعية السياسية التي تحكم لبنان حالياً سوى أن تأخذه إلى "الزوال" على حد تعبير وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان الذي لم ير ضرورة لاستخدام تعابير ذات طابع دبلوماسي للتعبير عمّا آل إليه لبنان في السنة المئة من عمره... في ظل الشيعية السياسية!

أزمة وجودية تبصم تاريخ لبنان الكبير الغارق في الحزن



القائد العسكري الفرنسي الجنرال هنري غورو مع الأمير فيصل الأول في مارس 1920



عرفات يتفقد الأضرار في بيروت الغربية



حطام ثكنة المارينز ببيروت عام 1983



ثلاثي الفوضى إبان بداية «الربيع العربي»

الأحد الماضي أنه تم إلغاؤها بعد "سنة من الأزمات غير المسبوقة والكوارث". غير أن النقطة الأبرز في هذا الحدث هو زيارة الرئيس إيمانويل ماكرون للبلاد وذلك للمرة الثانية في غضون ثلاثة أسابيع إثر وقوفه على دمار العاصمة مطلع الشهر الماضي.

واستذكرا لإعلان المندوب السامي للانتداب الفرنسي الجنرال هنري غورو في الأول من سبتمبر 1920 إنشاء دولة لبنان الكبير من قصر الصنوبر، سيزرع ماكرون شجرة أرز في غابة شمال بيروت.

وفي ذلك المبنى التاريخي الذي لا يزال مقر إقامة السفير الفرنسي في بيروت، سوف يجمع ماكرون الثلاثاء ممثلي الطبقة السياسية المتهمكة بامتيازاتها والمتهممة بالفساد، لبحثها مجدداً على إنقاذ البلاد عبر إجراء إصلاحات سياسية واقتصادية ملحة.

وتقول روز غلام، السيدة التي تصدرت وسائل الإعلام بعد رفضها مغادرة بيتها المدمر جزئياً في انفجار المرفأ في الرابع من أغسطس، وكالة الصحافة الفرنسية إنها "أكبر أزمة يعيشها لبنان. حتى أنها أسوأ من الحرب".

وتضيف المدرّسة المتقاعدة، التي ولدت خلال الانتداب الفرنسي، باللغة الفرنسية "قادتنا غير واعين وليسوا صادقين. كيف بإمكانهم أن يعيدوا بناء منازلنا؟ يجب تغييرهم جميعاً".

ويشكل انفجار المرفأ الذي وقع 188 قتيلاً على الأقل وأكثر من 6500 مصاب، عدا عن تضرر أحياء عدة في العاصمة، نقطة تحوّل بالنسبة إلى العديد من اللبنانيين الناقمين على الطبقة السياسية والذين يطالبون برحيلها منذ أكتوبر الماضي.

وعزت السلطات الانفجار إلى حريق وسط كميات كبيرة من نترات الأمونيوم كانت مخزنة منذ أكثر من ست سنوات في المرفأ، يعلم مسؤولين على مستويات عدة، ما وضعهم في دائرة الاتهام من لبنانيين مصريين على محاسبتهم على الإهمال والفساد.

نقطة الانهيار

جراء الانقسامات السياسية وطبيعة النظام القائم على المحاصصة ومنطق التسويات، لم تتمكن السلطات المتعاقبة

غير أن تنفيذ اتفاق الطائف الذي نصّ على المناصفة في المجلس النيابي بين المسيحيين والمسلمين، عمّق نظام توزيع المناصب على الطوائف وأصبح يشمل كافة الوظائف في الدولة. وأدت الصيغة التوافقية إلى شلل أجهزة

الدولة بالكامل إذ لم يعد ممكناً تعيين أي موظف في منصب عال أو اتخاذ أي قرار لا يحظى بموافقة ممثلي المكونات الطائفية الرئيسية. وعلى غرار تحذير وزير الخارجية

الفرنسي جان إيف لودريان الأسبوع الماضي، يرى المفتي أن "لبنان مهدد بالاختفاء" بسبب تلك الوضعية. ولطالما شكّل البلد الصغير صندوق بريد خلال الصراعات الإقليمية، وأخرها المواجهات بين إيران الداعمة الرئيسية لحزب الله، والولايات المتحدة وإسرائيل.

ذكريات بلا ذكارة

تقول الباحثة والمؤرخة دينا دو كليرك لوكالة الصحافة الفرنسية إنه لطالما كانت التدخلات الأجنبية موجودة وتعرّزت ثقافة المحسوبيات وتضيف الباحثة اللبنانية في معرض تفسيرها لذلك بالقول "سنا شعباً موخداً وغالباً ما احتجنا إلى عراب خارجي لقتال العدو في الداخل".

وتؤكد أن التاريخ يظهر "غياب ذكارة جماعية وطنية لصالح ذكريات تحملها مختلف المجموعات الطائفية"، وهو ما يفسّر "عدم وجود كتاب تاريخ موحد"، فيما لكل مجموعة روايتها الخاصة عن الأحداث المفصلية الكبرى في تاريخ البلاد المعاصر.

وبدا في أكتوبر الماضي أن التظاهرات التي شارك فيها مئات الآلاف من اللبنانيين ضد الطبقة السياسية مجتمعة، تشكل نقطة بداية جديدة بالنسبة إلى شريحة واسعة من اللبنانيين.

وقد غدّت شعوراً وطنياً عاماً عابراً للطوائف والمناطق. ويرى المفتي أن ما يجب إرساؤه اليوم هو عقد اجتماعي جديد، لكن أحداً لا يملك مفاتيحه، لا القوى السياسية ولا مختلف مجموعات المعارضة ولا حتى المجتمع الدولي. وكتبت رئيسة التحرير المشاركة في صحيفة لوريان لوجور الناطقة بالفرنسية إيميلي سويور تقول "بقيت بضعة دقائق قبل منتصف ليل نهاية لبنان، لكن منتصف الليل لم يحن بعد".

بيروت - يحيي لبنان الثلاثاء المنوية الأولى لتأسيسه بينما يلطم جراحه منذ انفجار مرفأ العاصمة بيروت المروع ويرزح مواطنوه تحت ثقل أزمة اقتصادية غير مسبوقة ونظام سياسي أثبت فشله ومخاوف على وجود الوطن الصغير المتعدّد الطوائف.

أبرز المحطات التاريخية

- 1920 قيام دولة لبنان الكبير
- 1943 نال لبنان استقلاله
- 1947 أول انتخابات تشريعية في لبنان
- 1958 حرب أهلية استمرت 5 أشهر
- 1967 نكسة الحرب العربية ضد إسرائيل
- 1968 الفلسطينيون ينشئون أولى قواعدهم جنوب لبنان
- 1969 وقع لبنان اتفاق القاهرة
- 1970 انتقال منظمة التحرير الفلسطينية إلى لبنان
- 1973 توتر العلاقة بين اللبنانيين والفلسطينيين
- 1975 اندلاع الحرب الأهلية
- 1976 دخول القوات السورية
- 1982 إسرائيل تجتاح لبنان
- 1989 توقيع اتفاق الطائف لاقتسام السلطة
- 1990 انتهاء الحرب الأهلية
- 2005 و2007 سلسلة اغتالات لشخصيات لبنانية
- 2013 حزب الله يشارك في النزاع السوري
- 2019 انفجار مظاهرات شعبية ضد الطبقة السياسية
- 2020 كارثة مرفأ بيروت

ويأتي هذه الحدث "التاريخي" في ظل أزمة وجودية للبنان الكبير، الذي غرق منذ تأسيسه قبل عشرة عقود، في مستنقع من المشاكل لم يتمكن من الخروج منه حتى اللحظة. ولئن كانت الحروب الداخلية، التي مزقت النسيج الاجتماعي للسكان منذ الانتداب الفرنسي، وسيطرة الجيش السوري على لبنان لسنوات قبل انسحابه منها بعد اغتيال رئيس الوزراء الراحل رفيق الحريري في 2005، إلا أن القطرة التي أفاضت كاس غضب اللبنانيين هو الفساد المستشري في كافة مفاصل الدولة.

وستمر هذه المناسبة وسط أجواء من التشاؤم والإحباط بين اللبنانيين الذين سئموا تسويات الطبقة السياسية بإصلاح أوضاعهم على كافة النواحي. وتغيب الاحتفالات الرسمية بالمناسبة في كامل مدن لبنان، وقد أكد الرئيس ميشال عون